جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

الثانية ماستر فلسفة عربية اسلامية

الثانية ماستر فلسفة غربية معاصرة

محاضرة رقم (02): علاقة الفلسفة بالثقافة جدلية الفكر والمجتمع

تتموضع الفلسفة تاريخياً بين مطرقة المطلق الكوني وسندان النسبي التاريخي .وإذا كانت الثقافة بوصفها مجموع القيم، والرموز، والأنساق الرمزية والمادية تشكل التربة الحاضنة للإنسان، فإن الفلسفة طالما ادعت التعالي عن هذه التموضعات المحلية نحو الكلي والمجرد . غير أن الانعطافات المعاصرة في الفلسفة المعاصرة (من الهيمنية إلى الما بعد بنيوية، ومن فلسفة الوعي إلى فلسفة الخطاب) أعادت النظر في هذه الثنائية الميتافيزيقية، محولة العلاقة من التباين والتعارض إلى **جدلية عضوية معقدة** تتفاعل فيها بنى الفكر مع بنى المجتمع.

تسعى هذه المحاضرة إلى تفكيك طبيعة الرابط الإبستيمولوجي والتاريخي بين الفلسفة والثقافة، متسائلين عن الكيفية التي تنتج بها الثقافة فيلسوفها، وكيف تعيد الفلسفة بدورها تشكيل الأنساق الثقافية أو تقويضها.

أولاً: التحديد الإبستيمولوجي لثنائية "الفلسفة" و"الثقافة"

قبل ولوج الجدلية، لابد من ضبط الحدود المفاهيمية والموقع الإبستيمولوجي لكل من المفهومين:

1. **مفهوم الثقافة:(Culture)**
   - **أنثروبولوجياً :**هي الكل المركب الذي يشمل المعتقدات، الفنون، الأخلاق، القوانين، العادات، وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع.
   - **سوسيولوجياً وتاريخياً :**هي فضاء الممارسات الرمزية والمادية التي تتحدد عبر صراعات القوة والمصالح الطبقية وتوزيع الهيمنة.
2. **مفهوم الفلسفة:(Philosophy)**
   - بوصفها **"فكرًا مفارقاً "**أو تفكيراً في المفاهيم، تسعى الفلسفة إلى الكشف عن الحقائق الكلية، متجاوزة المظاهر العينية والممارسات اليومية المباشرة.
3. **طبيعة التقاطع :**الفلسفة ليست كائناً مفارقاً للثقافة، بل هي **منتج ثقافي بامتياز؛** فالفيلسوف ابن عصره وبيئته الثقافية، لكنه في الوقت ذاته يمثل اللحظة النقدية العليا داخل تلك الثقافة، حيث تقف الثقافة مع الفلسفة أمام مرآة ذاتها لمساءلة مسلّماتها.

ثانياً: الجدلية التاريخية

لا تنشأ الأنساق الفلسفية في فراغ سديمي، بل هي استجابة لتأزمات ثقافية واجتماعية كبرى . ويمكن تتبع هذه الجدلية عبر محطات التاريخ الفلسفي:

1. **الفلسفة اليونانية والتحول الثقافي في أثينا :**لم تظهر فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو إلا في سياق تحول ثقافي واجتماعي عميق شهدته أثينا، من مجتمع شفهي أسطوري إلى مجتمع سياسي ديمقراطي يقوم على الحوار والخطابة، مما استدعى تأسيس مفاهيم عقلية جديدة تنظم العيش المشترك (البوليس.(Polis /
2. **الفلسفة الحديثة وأزمة الانتقال الرأسمالي :**فلسفات العقد الاجتماعي (هوبز، روسو، لوك) وعصر الأنوار لم تكن سوى ترجمة نظرية للتحولات الثقافية الكبرى المرتبطة بانهيار الإقطاع، وصعود البرجوازية، وظهور الفردانية الحديثة والثورة العلمية.
3. **الفلسفة المعاصرة ونقد الثقافة الجماهيرية :**في القرن العشرين، انتقلت الفلسفة (عبر مدرسة فرانكفورت ودراسات ما بعد الحداثة) إلى قلب النقد الثقافي المباشر، معتبرة أن الثقافة لم تعد مجرد إنتاج عفوي، بل أصبحت **"صناعة ثقافية "**رأسمالية تهدف إلى تنويم الوعي وتدجين الإنسان المعاصر.

ثالثاً: الفلسفة بوصفها "نقداً للثقافة"

إذا كانت الثقافة تمثل "الأنساق المضمرة" والبديهيات غير المبررة التي يتقبلها المجتمع لا شعورياً، فإن وظيفة الفلسفة تتحدد بوصفها **أداة هدم وتفكيك وتنوير:**

1. **تفكيك الميثولوجيا اليومية (رولان بارت / ميشيل فوكو :(**الفلسفة النقدية تكشف كيف تتحول "الخطابات الثقافية السائدة" إلى طابوهات مقدسة أو بدايات طبيعية مزيفة . إنها تخلخل اليقينيات الثقافية (المحلية، الإثنية، الذكورية) لتبين طابعها التاريخي والمصلحي المؤقت.
2. **جدلية الهيمنة والمقاومة :**الخطاب الفلسفي لا يقف موقف الحياد؛ فهو إما أن يكون **أداة إعادة إنتاج للأنساق المهيمنة**)فلسفة تبريرية تخدم السلطة القائمة)، أو **أداة مقاومة وتحرر**)فلسفة نقدية راديكالية تفكك آليات الاستغلال والتدجين الرمزي.(
3. **من "فلسفة الوعي" إلى "فلسفة النسق :"**لم يعد الفيلسوف المعاصر يكتفي بتأمل الروح المطلق (على طريقة هيغل)، بل بات منخرطاً في تفكيك أنساق الخطاب الثقافي اليومي، والمؤسسات، وممارسات السلطة المجهرية (فوكو)، كاشفاً الارتباط العضوي بين المعرفة (الفلسفية/العلمية) والبنيات الثقافية.

رابعاً: أزمة العلاقة في السياق العربي المعاصر

لا يمكن لدارس الفلسفة في الفضاء العربي تجاوز الإشكال المنهجي الحاد الذي يطبع علاقة الفكر بالمجتمع والثقافة:

1. **ثنائية الأصالة والمعاصرة :**انعكست أزمة التخلف الاجتماعي والسياسي على الفلسفة العربية، فأنتجت خطاباً منقسماً بين سلفية تراثية مغلقة (تريد تقديس الثقافة التقليدية) وتغريبية مطلقة (تريد استنساخ الثقافة الغربية)، بدلاً من بناء موقف فلسفي نقدي خلاق.
2. **غياب المجال العمومي العقلاني :**بحسب قراءات نقدية واسعة (مثل طارق البشري، محمد عابد الجابري، وعبد الله العروي)، فإن الفلسفة العربية غالباً ما وجدت نفسها منعزلة عن ديناميكيات الثقافة الجماهيرية والمجتمع، مما جعل الفكر الفلسفي يبدو كأنه "خطاب براني" أو نخبوي معزول عن مخاضات الواقع الاجتماعي الحية.

تؤكد العلاقة الجدلية بين الفلسفة والثقافة أن الفكر ليس مرآة سلبية للمجتمع، كما أنه ليس مطلقاً متعالياً يسبح في الفراغ .الفلسفة هي **الوعي النقدي للثقافة؛** بها تفكر الثقافة في نفسها، وتتجاوز تناقضاتها، وتقوض أوهامها الإيديولوجية .بالنسبة لطلبة الماستر فلسفة، يمثل هذا الإدراك دعوة لتجاوز القراءات المدرسية المجردة نحو الانخراط الفلسفي الواعي في تفكيك الأسئلة الملحة التي تفرزها الثقافة المعاصرة في أبعادها السياسية، الرقمية، والاقتصادية.